الشكر في القرآن



(وَوَصَّيَدْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيدْهِ حَمَلَتَهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهَنِ وَفِصَالُهُ فِي عَامَينْنِ أَنِ اشْكُرُ ْلِي وَلِوَالِدَينُكَ إِللَيِّ الاّمَصِيرُ) (لقمان/ 14).

الشكـر.. يعرف:

وفي كلّ موقع من مواقـع البيان والتربية والثقافة القرآنية نجده معنيا ً بالاخلاق والتربية الاخلاقية، وبالتعامل مع الاخر.. ذلك لانها المشكلة الكبرى في العلاقات الاجتماعية وفي السلوك البشـري.. كما يحدد للانسان منهج العلاقة مع ا اسبحانه.. بل ومع الطبيعة والاحياء فيها.. وهكذا فان قراءة المحتوى القرآني توصلنا الى ان القران حدد للانسان منهج العلاقة مع ا اسبحانه.. ومع الاخر من النـاس.. ومع الطبيعة والاحياء فيها.. وبذا استوعب بمشروعه الكبير نظام الحياة، وكيفية التعامل مع الوجود..

ا□ سبحانه هو مصدر الوجود وهو مصدر الخير والعطاء والاحسان في هذا العالم.. لذا استحق الشكر.. لانه

المنعم على الانسان.. ووسائل الشكر وادواته والياته متعددة.. منها الكلمة الشاكرة.. ومنها العمل والتعامل مع صانع المعروف برد الجميل اليه او بصنع ما يجلب الشكر عنده.. ومنها الشعور والاحساس الوجداني واعتراف الضمير..

والقرآن يريد ان يربى الانسان تربية اخلاقية متسامية.. يريده ان يكون شكوراً او شاكراً.. معترفاً باحسان من احسن اليه.. لينقذه من اخلاقية التنكر والجحود وكفران المعروف ونكرانه.. بل من مقابلة الاحسان بالاساءة.. تلك الاخلاقية التي اوردت الناس تجربة مرة حتى قالوا: ((اتق شر من احسنت اليه))

او تلك الاخلاقية المتردية التي صاغتها شعرا ً فجاءت مثلا:

ومن يصنع المعروف في غير اهله****يلاقي الذي لاقي مجير ام عامر

ان القرآن يثبت قاعدة كلية لمقابلة المعروف بالمعروف.. والاحسان بالاحسان.. والفضل بالشكر والامتنان.. نقرأ هذه القاعدة في قوله تعالى:

(هل جزاء الاحسان الا الاحسان)

ان من جزاء الاحسان والمعروف ان يقابل فاعله بالشكر.. الشكر بالقلب واللسان والعمل المعبّر عن اداء الشكر لصانع المعروف..

ان المجتمع البشري بحاجة الى اخلاقية مقابلة الاحسان بالاحسان.. بل يدعو القران الى مقابلة الاساءة بالاحسان.. ان اخلاقية الشاكرين وكلمة الشكر واداء الشكر المقابل للمعروف المسدي للانسان ترزع في النفوس الحب المتبادل.. والتشجيع لاهل المعروف والاحسان باسداء المعروف الى الاخرين.. ان النفسية الشاكرة تعبّر عن الرضا والحب والشعور بتعاطف الاخرين، وسلامة البنية النفسية من التعقيد والتعالي والانانية ..

ان الشكر يع ُبر عنه بالكلمة التي تزرع المودة والحب والعلاقة الطيبة، وتؤسس لعلاقات اجتماعية متنامية.. ويعبر عن الشكر بالعمل المقابل فيعمل المعروف لمن اسدى اليه معروفا ً، ردا ً لمعروفه وتعبيرا ً عن الشكر له.. ان الشكر كله يجب ان يكون □ تعالى، فهو الذي خلق وانعم وافاض الخير والنعم على هذا الانسان فاستحق الشكر..

اننا نجد نعمة البصر والسمع، ونعمة النطق وسلامة اللسان.. ونعمة المعافاة، ونعمة الزوجية الصالحة والابناء الصالحين والحياة العائلية الهانئة.. ونعمة المحبة والمودة للآخرين.. نحن نصبح اصحاء في اجسادنا.. امين في اوطاننا.. مطمئنين على رزقنا.. سالمين من السوء والمكروه.. سعداء في اسرنا..

قد مِّن ا∐ علينا بحسن الخلق، وبطاعة الرحمن.. وبالقبول والاحترام في المجتمع.. وجنبنا المعاصي والجرائم وافعال السوء.. واختار لنا نعمة الايمان.. وكل ذلك فضل يحتاج الى الشكر..

ويتحدث القرآن في العديد من آياته عن الشكر وجزاء الشاكرين.. ويصف نفسه سبحانه بانه شاكر لكل خير يفعله الانسان بالتقرب اليه سبحانه.. بل هو شكور، كثير الشكر وعظيمه..

(مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْ تُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيمًا) (النساء/ 147).

ان معنى شكر ا□ هو تقبله وتكريمه لهذا الفعل ورضاه عنه والمجازات عليه بالخير والثواب وبالمزيد من العطاء وادامة النعم.. نقرأ ذلك في قوله تعالى: ((لئن شكرتم لازيدنكم)) تراجع

ويتحدث القرآن في الشكر، ويوضح للانسان ان المستحق للشكر هو ا∐، والوالدين.. وكل من يعمل المعروف.. بل ويقرن شكر الوالدان بشكره.. واذا فلنقف بين يدي القرآن ولننصت لما يتلي:

((وَلَـَقَدَ ْ آَتَـيْنَا لِنُقْمَانَ الْحَـِكَ ْمَةَ أَن ِ اشْكَثُر ْ لَـِلَّهَ ِ وَمَن يَشْكُثُر ْ فَإِنَّمَا يَشْكُثُرُ لَـِنَفْ سَبِه ِ وَمَن كَفَرَ فَإِينَّ اللَّهَ غَنبِيِّ ْ حَميِيد ُ)) (لقمان/12).

نقف امام المعنى الذي حملته هذه الاية الينا، وهو ايتاء لقمان الحكمة وعلاقته بالشكر الذي امر به لقمان: (ان اشكر ا∐)..

فان العلماء يعرفون الحكمة بقولهم: ((والحكمة اصابة الحق بالعلم والعقل))

فالحكيم من يصيب الحق بفعله وقوله.. منطلقا من معارف العلم والعقل السديد.. ومن هذا الحق الذي يصيبه الانسان هو الشكر [وللوالدين.. وبذلك يعظم ا[سبحانه حق الوالدين ويقرنه بحقه، فيرتقي بعلاقة الابوة وحق الابوين الى هذا المقام السام؛ ليقول للانسان ان صاحب الفضل الذي يجب ان تعترف له وتشكره هو ا[سبحانه.. وبعد ذلك ان تشكر لوالديك.. وبذا يؤسس علاقة الشاكرين بين الانسان وخالقه وبين الانسان ووالديه.. فلم يزل ينظر لهما بعين الشكر وبضمير الشاكرين وباحساس الفضل والاحسان، ليرد عليها بعض الفضل والاحسان. وبذا يحكم بناء الاسرة والعلاقة الاسرية.. فالابوان هما الاصل الذي نتج عنه هذا الانسان، وهما مصدر الرحمة والحب والعطاء للابناء والام هي من حملته في بطنها وغذته من نتج عنه هذا الانسان، وهما مصدر الرحمة والحب والعطاء للابناء والام والمتاعب من اجل راحته وسلامة حياته؛ لذلك خصها القرآن بالذكر بعد التعميم؛ (حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين).

لذلك ثبت القرآن الوصية بالوالدين واصدر كتاب الشكر لهما.. جاءت هذه الوصية وتسجيل الشكر في جميل قوله تعالى: ((ووصينا الانسان بوالديه حملته امه....))

وفي موارد عديدة من آياته المشرقة يذكر القرآن بالنعم وبفضل ا□ على الانسان، ويدعوه الى تذكر النعم والى اعلان الشكر والثناء الجميل على ا□ سبحانه..

وي ُذكرنا القرآن بما وهبنا ا∏ سبحانه من وسائل وادوات تكتسب بها العلم والمعرفة ونتفاعل مع محيطنا وندرك العالم من حولنا ولولاها لكنا كالجماد..

نقرأ من هذه الابيات:

(ثُمِّ سَوِّ َاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رِّ ُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمَّعَ وَالأَبْصَارِ َ وَالأَفْنْدَةَ قَلَيلاً مِّا تَشْكُرُونَ) (السجدة/9).

(وَ اللهِّهُ أَ خَوْرَجَكُمُ مَّ ِن بُطُّونِ أَ مُّ هَا تَكُمْ لاَ تَعَلَّمُونَ شَيَّا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمَعَ وَالأَبْصَارِ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل/78).

(وَهُوَ السَّدَرِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمَعْ وَالأَبِّصَارِ وَالأَفْنْدَةَ قَلَيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) (المؤمنون 78). (قُلُهْ هُوَ السَّنَدِي أَنشَأَ كُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمَعَ وَالأَبِّصَارَ وَالأَفْنَدَةَ قَلَيلا مَّا تَشْكُرُونَ) (الملك/ 23).

لنقف امام هذا التكرار في النصوص والمفاهيم.. فقد جاء التذكير بنعمة العقل والسمع والبصر اربع مرات وبالالفاظ ذاتها واستعمل القران لفظة (الانشاء) للسمع والبصر والافئدة مرة واحدة واستعمل لفظة الجعل للسمع والبصرة والافئدة ثلاث مرات ولغة العرب تفرق في المعنى بين الجعل والانشاء..

فالانشاء في اللغة كما يقول اللغويون: هو ايجاد الشيء وتربيته

والفعل جَعَلَ: هو لفظ عام في الافعال كلها، وهو اعم من فعل وصنع وسائر اخواتها..

وهذا الاهتمام القرآني في اربع ايات بالحديث عن السمع والبصر والابصار والافئدة ودعوة الانسان الى الشكر.. بل وتأنيب من لم يشكر هذه النعم.. ذلك لان السمع والبصر والفؤاد هي الادوات الاساسية للمعرفة ولاتصال الانسان بالعالم الخارجي وفهمه والتواصل مع المخلوقات بصورة عامة ومن المجتع الانساني بصورة خاصة..

ويسترسل القرآن في الفات نظر الانسان ووعيه الى ما حوله من نعم، وما خوله ا□ من فضله؛ ليعرف عظمة الخالق ووافر نعمه فيشكره.. ومن افضل صور الشكر للنعم هو استعمالها في طاعة ا□ وسبل الخير والمعروف.. ومن اسوأ مظاهر التنكر للنعم وكفرانها، هو استعمالها في المعصية وفي سبيل الشر.. ويحذر القران من ان يبدل الانسان نعمة ا□ كفراً.. نعمة الايمان والخير والرفاه.. قال تعالى: (أَلَامَ تَرَ إِلَا السَّدَ يِنَ بَدَّ لُوا ْ نَعْمَ اللَّهَ مَ كُفْرًا وَأَحَلَّ وُا وَ قَو ْ مَهُ مُ هُ مُ اللَّهَ عَلَى السَّدَ عَلَى السَّدُ عَلَى السَّدَ عَلَى الْعَلَا عَلَى السَّدُ عَلَى الْعَلَى السَّدَ عَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْع

لقد وهب ا□ سبحانه الانسان: العقل والعلم والقوة البدنية والمال والجمال والسلطة وخيرات الارض.. وسخر الحيوان وعوالم الطبيعة وقوانينها لصالحه ليستفيد منها وينتفع بها..

والنعم بمختلف الوانها هي من وسائل الاختبار الالهي.. فا⊡ سبحانه عندما ينعم على الانسان ويختبره فيها.. أيشكر النعم ام يكفر بها.. ذلك ما نقرأه في مقالة سليمان (ع) حين رأي ما سخر ا⊡ له من نعم وملك وسلطة وامكانات.. قال تعالى: (قَالَ السَّذِي عَندَه ُ عَلاْم ٌ مسَّنَ الـْكَيتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبِـْل َ أَن يَـر ْتنَد ّ َ إِلـَي ْكَ طَر ْ فُكَ ۖ فَلـَم ّ َا رِ آه ُ مُس ْت َقِر ّ ًا عَندَه ُ قَالَ هَذَا م ِن فَ صَ ْل ِ ر َبِّ بِي ل ِي َب ْل ُو َن ِي أَ أَ اَ ش ْك ُر ُ أَ م ْ أَ كَ ْف ُر ُ) (النمل/ 40)

ويعقب القرآن بقوله: (و َم َن ش َك َر َ ف َإِ ن ّ َم َا ي َش ْك ُر ُ ل ِن َ ف ْس ِه ِ و َم َن كَ ف َر َ ف َإِ ن ّ ر َب ّ ِي غ َن ِي ّ ْ ك َر ِيم ٌ) (النمل/41)

ومما يدعو القرآن الانسان الى ان ينظر فيه، فيشكر □ هو الرزق.. هو من وهبه ا□ من خيرات ونعم فقد دعاه الى ان يأكل من هذه الطيبات والنعم وان يشكر لخالقها..

ان القرآن يدعو الانسان الى ان يعمل ويكسب الرزق الحلال بالعمل فيشكر ا□ على هذه الخيرات وعلى نعمة الصحة والقوة التي يكسب بها الرزق.. انه يدعوه للعمل، فالعمل هو اداة اداة الانتاج، وهو مصدر الحفاظ على الصحة البدنية والنفسية وحفظ كرامة الانسان..

(فَابِّدَغُوا عِندَ اللَّهَ ِ الرِّزِّقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْه ِ تَرُرْجَعُونَ) (العنكبوت/ 17)

(فَكُلُوا ْ مِمَّاَ رِزَقَكُمُ اللَّهَ حَلَالًا طَيَّبِاً وَاشْكُرُوا ْ نِعْمَتَ اللَّهَ.) (النحل/ (114

نِع°مَةَ اللاَّهِ عَلَي°كُم° إِن° كُنتُم° أَع°دَاء فَأَلَّيَفَ بِيَنْ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِع°مَتِهِ إِخ°وَانًا وَكُنتُم° عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّينَ النِّاَارِ فَأَنقَذَكُمُ مِّينْهَا كَذَلَكَ يُبِيَّنُ اللَّهُ لُلَكُم° آيَاتِهِ لَعَلاَّكُمْ تَه ْتَدُونَ) (ال عمران/103.

وحقيقة كبرى في هذا العالم.. ان نعم ا∏ محيطة بنا ونحن لا ندركها، ولا نستطيع الاحاطة بها.. والقرآن يذكر ّنا بذلك: (و َإِن ت َع ُد ّ ُوا ْ ن ِع ْم َة َ الله ّ َه ِ لا َ ت ُح ْص ُوه َا إِن ّ َ الله ّ َه َ ل َغ َف ُور ْ ر ّ َح ِيم ُ) (النحل/ 18)

فتلك اجهزة الجسم وخلاياه المختلفة تعمل وتصان ذاتيا ً وتحفظ لنا استمرار الصحة والحياة.. ونحن لا نعلم بعملها، ولانوجه حركتها.. ولولا فضل ا□ علينا لتحملنا الوان الالام والعلل المرضية.. وهذا الكون مليئ بما يضر الانسان والطبيعة والبيئة.. ولولا فضل ا□ ونعمه وحفظه لسلامة البيئة والطبيعة لحدثت كوارث ومخاطر كان الانسان صيحتها.. كل ذلك يحثد في عالم الكون يحدث في عالم الكون والطبيعة، لصالح الانسان، ولا علم للانسان به ولا دور في الوقاية منه.. ويجري ذلك بحكمة ا□ وفضله على الانسان..

ومن نعمه ان يشكر ا□ يقابله ا□ بالشكر وبزيادة العطاء.. وبموازين العدل فان الشكر واجب للمنعم، ولا يستحق شاكر النعمة شيئا مقابل شكره.. فهو كالمدين الذي ادى دينه.. ان هذا الاحسان الالهي يستحق الشكر ايضاءً، فنحن نشكره على شكرنا له، وعلى ان يزيد الشاكرين عطاء ومنسَّه.. (لـَـئـِن شـَكـَر°تـُم° لأَـزِيدـَنسَّكـُم°) (ابراهيم/ 7)